تظاهرات تشرين

تحليل سيكوبولتك لما حدث وسيحدث (1-2)

أ.د.قاسم حسين صالح - علم النفس، العراق
الرئيس الفخري للعلماء والمفكرين العرب
qassimsalihy@yahoo.com

الحلقة 1

تعدّ تظاهرات الفاتح من تشرين/اكتوبر 2019 حدثا غير مسبوق في تاريخ العراق السياسي من حيث حجم التظاهرات والضحايا الذين زاد عددهم على اربعمائة شهيدا واكثر من (18) الف مصابا..ومطاولتها ضد عنف مفرط من سلطة استخدمت الرصاص الحي والمطاطي وقنابل استهدفت رؤوس وصدور المتظاهرين في نظام يعتمد دستورا يقر فيه انه ديمقراطي.

فما ألأسباب التي انفردت به هذه الأنتفاضة (الثورة)؟وما تحليل ما حدث وسيحدث من منظور علم النفس والاجتماع السياسي؟.

تعدّ تظاهرات الفاتح من تشرين/اكتوبر 2019 حدثا غير مسبوق في تاريخ العراق السياسي من حيث حجم التظاهرات والضحايا الذين زاد عددهم على اربعمائة شهيدا واكثر من (18) الف مصابا

العراقيون..يصححون غوستاف لوبون

يعدّ عالم النفس الاجتماعي غوستاف لوبون(1841-1931) افضل من حلل الآنتفاضات والثورات في كتابه (سيكولوجية الجماهير) عبر متابعته للثورة الفرنسية والاحداث التي شهدتها اوربا في القرنين الثامن والتاسع عشر..ففيه قدم علما جديدا وفهما استثنائيا لما يحكم سلوك الجماهير حين ينتفضون او يثورون ضد سلطة استبدادية..نلخص اهمها بالآتي:

يعدّ عالم النفس الاجتماعي غوستاف لوبون(1841-1931) افضل من حلل الآنتفاضات والثورات في كتابه (سيكولوجية الجماهير) عبر متابعته للثورة الفرنسية والاحداث التي شهدتها اوربا في القرنين الثامن والتاسع عشر

يرى لوبون ان شخصية المتظاهر تتلاشى كفرد حين يكون بين الجماهير،فلا ينفعه ذكاؤه ولا علمه من اتخاذ قرارات منطقية سليمة ،بل سيتحمس لأفكار بسيطة بفعل التحريض والعدوى للعواطف والأفكار.

وأنّ هذه الجماهير تتحكم بها الأوهام ولا تبحث عن الحقائق،وانه يتم اقناعها والسيطرة عليها بسهولة من خلال وعود مضخمة او العزف على اوتار حساسة تستهدف لاوعي تلك الجماهير كأن يكون وترا دينيا،او طائفيا ،او عرقيا.

وان الجماهير لا تبحث عن الحقيقة علميا وعمليا كما يفعل الفرد بل تعتمد البساطة في السعي لتحقيق اهدافها.

وأن العاطفة الدّينية هي التي أشعلت الانتفاضات الكبرى،وأنها تمتلك قوّة مخيفة تجعل الجماهير تخضع لها بشكل أعمى، فتمضي بعزم لحماية تلك العاطفة،وتعدّ كلّ من يرفضها عدوّا.

وأنّ الجمهور يضعف ويفقد قوّته دون قائد،ويريد ان يكون له زعيم يقوده ويمتثل لأوامره،لأن ما يهيمن على الجماهير ليس التوق الى الحرية بل الخضوع الغريزي لزعيم يقودها.

ان الجماهير لا تبحث عن الحقيقة علميا وعمليا كما يفعل الفرد بل تعتمد البساطة في السعي لتحقيق اهدافها (لوبون)

تصحيح مقولات لوبون

بالرغم من ان مقولات او (تنظير) لوبون تنطبق على التظاهرات والانتفاضات التي حدثت في العالم العربي بما فيها تظاهرات العراق من شباط 2011 الى تظاهرات آب 2018،فان احداث تشرين 2019

وفرت لنا اضافة معرفية جديدة(تنظير) يقدمها العراق لعلم النفس العالمي..نوجزها بالآتي:

لم يكن لجمهور المتظاهرين قائد او زعيم..بل انه رفض ذلك، ولم تضعف قوته بل ازدادات بالرغم من أن الحكومة ازدادت قسوة في تعاملها مع المتظاهرين وصلت حد ارتكاب مجازر بشرية في الناصرية والنجف، ولم تشعل العاطفة الدينية انتفاضة تشرين،بل العكس فان جمهورها سخر من أحزاب دينية ورموز دينية تعد مقدسة ومزق صور رجال دين ،ولم تخدعها وعود وتسويفات السلطة ،ولم تتحكم بها الأوهام ،ولم تتلاشى شخصة الفرد ويلغى ذكاؤه بل ان بين الشباب من ابهر الكبار بوعيه الثقافي ونضجه السياسي..ما يجعلنا نصحح،تنظير غوستاف لوبون بتنظير عراقي جديد نصوغه في الآتي :

(حين تستفرد السلطة بثروة الوطن وفرص العمل،وتستهين الحكومات بمطالبات الجماهير،فان الظلم والاستهانة يوحّدان المحرومين في انتفاضة جماهيرية يتصدرها شباب يواجه عنف السلطة بصمود فيلتف حوله الكبار ليضعوا السلطة امام ثلاث خيارات: اما الرضوخ لمطالب المنتفضين ،واما الوصول الى حل توفيقي،واما حرب كارثية تنتهي بانتصار ارادة الشعب)

الحلقـــــــــة 2

تناولت الحلقة الأولى تحليلا لسيكولوجية الجماهير في الانتفاضات وشخّصت ما انفردت به انتفاضة الفاتح من تشرين/اكتوبر 2019 وانتهت بتنظير سيكولوجي جديد يضيف ويصحح ما قدمه غوستاف لوبون في كتابه (سيكولوجية الجماهير)

في هذه الحلقة نستعرض ونحلل آراء اكاديميين ومثقفين واعلاميين وسياسيين ومشاركين في تظاهرات تشرين في استطلاع تضمن ثلاثة اسئلة:

1. ما الاسباب التي دعت الى قيام انتفاضة تشرين /اكتوبر 2019 بعد 16 سنة من استفراد احزاب الاسلام السياسي بالسلطة والثروة؟
2. ما الجوانب الايجابية فيها؟ وما سلبياتها ؟
3. هل ترى انها ستحقق اهدافها؟ وان لم تحققها ما الذي سيحصل؟

تصنيف الأسباب

تتعدد أسباب حدوث الثورات والانتفاضات عبر التاريخ،مضافلهاعامل سيكولوجي يؤدي الى التصعيد،هو التفاعل الايجابي(التوليدي) بين هذه الأسباب،وهذا ما حصل في انتفاضة تشرين..وفي ادناه تصنيف لها مرتب بحسب تكراراتها في اجابات عينة الدراسة (537 فردا) وعلى النحو الآتي:

- **اقتصاد وخدمات**

–تفشي البطالة وسوء الخدمات لاسيما البنى التحتية في العاصمة ومراكز المحافظات

–اهمال المصانع والاعتماد على الاستيراد

–سرقة المال وتحويله الى الخارج

–الاستيلاء على عقارات الدولة وامتلاك مسؤولين قصورا ومناطق مغلقة بعد امن كانوا لا يملكون مئة متر مربعا

–رواتب خيالية وامتيازات للطبقة السياسية وترك الشعب يتضور جوعا.

- **فساد مالي واداري**

– انتشار الفساد في جميع مؤسسات الدولة،واطلاع الشعب على بعضها كالعقود الوهمية

أن العاطفة الدّينية هي التي أشعلت الانتفاضات الكبرى،وأنها تمتلك قوّة مخيفة تجعل الجماهير تخضع لها بشكل أعمى، فتمضي بعزم لحماية تلك العاطفة،وتعدّ كلّ من يرفضها عدوّا (لوبون)

أنّ الجمهور يضعف ويفقد قوّته دون قائد،ويريد ان يكون له زعيم يقوده ويمتثل لأوامره،لأن ما يهيمن على الجماهير ليس التوق الى الحرية بل الخضوع الغريزي لزعيم يقودها (لوبون)

لم يكن لجمهور المتظاهرين قائد او زعيم..بل انه رفض ذلك، ولم تضعف قوته بل ازدادات بالرغم من أن الحكومة ازدادت قسوة في تعاملها مع المتظاهرين وصلت حد ارتكاب مجازر بشرية في الناصرية والنجف

لم تشعل العاطفة الدينية انتفاضة تشرين،بل العكس فان جمهورها سخر من أحزاب دينية ورموز دينية تعد مقدسة ومزق صور رجال دين ،ولم تخدعها وعود وتسويفات السلطة ،ولم تتحكم بها الأوهام ،ولم تتلاشى شخصة الفرد ويلغى ذكاؤه

حين تستفرد السلطة بثروة الوطن وفرص العمل،وتستهين الحكومات بمطالبات الجماهير،فان الظلم والاستهانة يوحّدان المحرومين في انتفاضة جماهيرية يتصدرها شباب يواجه عنف السلطة بصمود فيلتف حوله الكبار

تتعدد أسباب حدوث الثورات

- الاحزاب لها الوظائف والرواتب حتى بدون عمل
- تضخّم ثروات المسؤولين ولعب ابنائهم بالملايين بعد ان كانوا متسولي

- **اجتماعية ونفسية**
  - تضاعف حالات الانتحار بين الشباب وتزايد حالات الطلاق والتفكك الأسري
  - شعور العراقي بالذل الذي استفز الوعي الجمعي باعماق الذاكرة العراقية بأنه عزيز وأنفة
  - افق مسدود واحباط اغلبية مسحوقة ومطحونة وسرقة احلام الشباب
  - الشعور بالأغترابوالأحساس بعدم الانتماء للوطن.

- **سوء ادارة**
  - تجاهل الحكومة لاعتصامات حملة الشهادات العليا ورش الماء الحار عليهم
  - امتناع الحكومات المتعاقبة عن تقديم برامج لصالح الشعب والانشغال بتقاسم خيرات البلاد الوفيرة بين السلطات الثلاث
  - عدم القيام بمعالجات آنية ووضع خطط علمية لتأمين مستقبل واعد للشباب.

- **تربية وتعليم**
  - كثرة المدارس والجامعات الاهلية التي اثقلت كاهل الأهالي
  - تدهور التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد والجامعات،وتولي المناصب الادارية فيها اشخاص ينتمون لأحزاب السلطة ولا يمتلكون الخبرة والكفاءة.

- **فكر ووعي**
  - زيادة وعي الشباب الذي جعلهم ينفرون من الطائفية والانفجارات والدم
  - هيمنة احزاب اسلامية متخلفة لا تنسجم رؤاها مع تطلعات شباب بعقليات منفتحة.

- **عدالة وقضاء**
  - انتهاك سيادة القانون وعدم تطبيقه على المتنفذين بالسلطة لاسيما الفاسدين
  - فساد بعض القضاة المحسوبين على احزاب السلطة،وخوف آخرين بفعل تعرّض عدد منهم الى الاعتداء والقتل والتهديد بالتصفية.

- **تدخل خارجي**
  - تشجيع بعض الدول الاقليمية للمتظاهرين وتزويدهم بالمال والسلاح لأهداف سياسية.
  - زيارة السيد عادل عبد المهدي للصين التي اغاضت اميركا،وفتح المعبر بين العراق وسوريا ما يوحي بالهلال الشيعي تبعا لأميركا وإسرائيل

في ضوء ذلك، تؤكد نتائج الاستطلاع أن اسباب انتفاضة تشرين شملت مجالات حياة العراقيين كافة..بأسوأحالاتها،وانها استمرت لست عشرة سنة في حال تنطبق عليه مقولة (الظلم اذا دام..دمّر)..وان حكومات ما بعد التغيير(2003) التي كانت جميعها بهوية شيعية هي الأفشل والأفسد في تاريخ العراق السياسي.. اليكم بالنص وصف المستجيبين لقيادات أحزاب الأسلام السياسي التي استلمت السلطة:

(قتلة،انانيون،ليس لديهم انتماء للوطن ولا حب للشعب،لا يمتلكون الكرامة..جبن خنوع تبعية مذّلة،سلطة تعتقد ان الوطن ملك صرف لهم،تعبث تقتل وتغض البصر عمن يقتل ويعتدي بقسوة حتى

والانتفاضات عبر التاريخ،مضافلهاعامل سيكولوجي يؤدي الى التصعيد،هو التفاعل الايجابي(التوليدي)

اقتصاد وخدمات
-تفشي البطالة وسوء الخدمات لاسيما البنى التحتية في العاصمة ومراكز المحافظات
-اهمال المصانع والاعتماد على الاستيراد

فساد مالي واداري
انتشار الفساد في جميع مؤسسات الدولة،واطلاع الشعب على بعضها كالعقود الوهمية

اجتماعية ونفسية
تضاعف حالات الانتحار بين الشباب وتزايد حالات الطلاق والتفكك الأسري

سوء ادارة
تجاهل الحكومة لاعتصامات حملة الشهادات العليا ورش الماء الحار عليهم

تربية وتعليم
كثرة المدارس والجامعات الاهلية التي اثقلت كاهل الأهالي

فكر ووعي
زيادة وعي الشباب الذي جعلهم ينفرون من الطائفية والانفجارات والدم

عدالة وقضاء
انتهاك سيادة القانون وعدم تطبيقه على المتنفذين بالسلطة لاسيما الفاسدين

على الفتيات،يقتلون جياعا يطالبون بحياة حرة في وطنهم المستباح،حكومة خائنة للوطن والشعب،فقدانهم الثقة بانفسهم،يعتقدون ان الشعب راح يسحلهم،سلطة تعتبر نفسها ان لها الحق بقتل من يعارضها)

مؤشرات سيكولوجية

تتحدد أهم الأسباب السيكولوجية التي اوصلت الحال الى انتفاضة تشرين بالآتي :

ان الأشخاص الذين استلموا السلطة بعد (2003) اعتبروا انفسهم انهم ضحايا النظام الدكتاتوري،وان لهم الأحقية في الاستفراد بالسلطة والثروة معتبرين ملايين العراقيين في الداخل اما موالين لنظام الطاغية أو خانعين لا مشروعية لهم بحقوق المواطنة،فعاشوا برفاهية على حساب سبعة ملايين اوصلوهم تحت خط الفقر،واذلوهم..مع ان عائدات النفط بلغت تريليون دولارا(الف مليار دولارا)! تكفي لبناء دولة خرجت من حرب كارثية.

نجم عن هذه التفاعلات السيكولوجية (تضخم أنا) و(غطرسة) اسهمت في تحويل الحاكم السياسي الى مستبد..ومنها تولدت لدى حكّام السلطة وقادة احزاب الاسلام السياسي قناعة بأنهم استعبدوا الناس روحيا،وانهم في حوارهم الداخلي يقولون لهم: تتظاهرونصدنا، ترفوضنا، تشتموننا،تتهموننا بأننا نتحدث بالعدل ونحكمكم بالظلم،ونتباهى بالأمانة ونمارس الخيانة..فانكم ستبقون تنتخبوننا لأننا سادتكم وقدركم المحتوم ولا ارادة لكم حتى لو سقناكم الى جهنم،ولا تملكون من وسائل الهرب سوى انكم تغادرون حزبنا هذا الى حزبنا الآخر.!

ان تقاسم مؤسسات الدولة بين احزاب الاسلام السياسي ورؤساء الكتل والفصائل المسلحة،وتحويلهم العراق الى بلد طارد للابداع والكفاءات، نجم عنه شعور الملايين بالحرمان من حقهم المشروع بالوطن، فوصلوا بعد تظاهرات استمرت من شباط 2011 الى آب 2018 الى الانفجار بحتمية سيكولوجية – اجتماعية ناجمة عن رفاهية خيالية لقلّة وفقر قاس لملايين، وفجوة فكرية وهوة عميقة بين حكّام بعقل سياسي مأزوم.. منغلق.. مسكونبالماضي، وعقل شبابي منفتح متطلع الى المستقبل، وانهما بهذا الحال..جبلان لا يلتقيان!

ايجابيات انتفاضة تشرين وسلبياتها

تتحدد أهم ايجابياتها بالآتي:

·احياء الشعور بالأنتماء للعراق بشعارها (أريد وطن)،واعادة الهوية الوطنية التي تراجعت بسبب الطائفية والمحاصصة التي اشاعت هويات فرعية قاتلة .

·احياء الشعور عند المواطن بأن الوطن للجميع بشعارها (نازل آخذ حقي(

·كسر حاجز الخوف من السلطة، وانها قالت للحكومة والاحزاب(قف هنالك شعب عراقي وليس العراق لكم وحدكم) واشاعة روح التحدي ضد حكومة وصفت رئيسها بأنه قاتل.

·فضح عمالة وخيانة وضعف وجبن المسؤولين الرؤوس في الدولة العراقية

·فضح تدخل دول الجوار بالشان العراقي.

·احياء قيم اخلاقية اصيلة استهدفتها حكومات التغيير بتحويلها الفساد من فعل كان يعد خزيا الى شطارة.

·شعور جيل الكبار من العراقيين بالفخر ان لديهم جيل شباب يمثل(رفعة راس) بتعبيرهم، وانهم بامكانهم بناء عراق يوفر الكرامة لأهله ويعيد اعتباره عربيا ودوليا.

تدخل خارجي
تشجيع بعض الدول الاقليمية للمتظاهرين وتزويدهم بالمال والسلاح لأهداف سياسية

اليكم بالنص وصف المستجيبين لقيادات أحزاب الأسلام السياسي التي استلمت السلطة:
(قتلة،انانيون،ليس لديهم انتماء للوطن ولا حب للشعب،لا يمتلكون الكرامة..جبن خنوع تبعية مذّلة،سلطة تعتقد ان الوطن ملك صرف لهم

نجم عن هذه التفاعلات السيكولوجية (تضخم أنا) و(غطرسة) اسهمت في تحويل الحاكم السياسي الى مستبد

وصلوا بعد تظاهرات استمرت من شباط 2011 الى آب 2018 الى الانفجار بحتمية سيكولوجية – اجتماعية ناجمة عن رفاهية خيالية لقلّة وفقر قاس لملايين

فجوة فكرية وهوة عميقة بين حكّام بعقل سياسي مأزوم.. منغلق.. مسكونبالماضي، وعقل شبابي منفتح متطلع الى المستقبل، وانهما بهذا الحال..جبلان لا يلتقيان!

احياء الشعور بالأنتماء للعراق بشعارها (أريد وطن)،واعادة الهوية الوطنية التي تراجعت بسبب الطائفية والمحاصصة التي اشاعت هويات فرعية قاتلة

احياء قيم اخلاقية اصيلة استهدفتها حكومات التغيير

بتحويلها الفساد من فعل كان يعد خزيا الى شطارة

شعور جيل الكبار من العراقيين بالفخر ان لديهم جيل شباب يمثل(رفعة راس) بتعبيرهم، وانهم بامكانهم بناء عراق يوفر الكرامة لأهله ويعيد اعتباره عربيا ودوليا

نرى ان العامل السيكولوجي له الدور الرئيس في حسم الموقف بين قوتين:احزاب الاسلام السياسي الشيعي والمتظاهرين

الأولى تمتلك السلاح والقوى الأمنية وفصائل مسلحة يدفعها انكسارها النفسي وسقوط اعتبارها الأخلاقي الى التمسك بالسلطة وممارسة اساليب التودد الظاهري والوعود بتحقيق اصلاحات

اما المتظاهرون فانهم يمتازون بالأصرار على مواصلة المشوار في تصعيد سيكولوجي بمشاركة العشائر في تظاهراتهم،وتأييد المرجعية والأمم المتحدة ومواطني المحافظات الغربية

وتتحدد أبرز سلبياتها بالآتي

- استشهاد مئات الشباب وجرح اكثر من عشرين ألفا.
- تاخر الاقتصاد والدراسة،سرقة ممتلكات عامة وخاصة،تخريب مباني حكومية وأهلية، وتلوث بيئي.
- عدم وجود قيادة موحدة لها .
- اشاعة الفوضى وانقسامات بين الناس بين مؤيد ورافض لها.
- اثارة العداء بين المتظاهرين وافراد القوى الأمنية مع ان بين اكثرهم صلات قربى وصداقات.

ما الذي سيحدث

انقسم المستجيبون بين من رأى ان التظاهرات ستحقق اهدافها في استعادة وطن،وبين من توقع ان الفوضى ستعم العراق وستحصل تدخلات خارجية تؤدي بالنتيجة اما الى التقسيم او وضع العراق تحت الفصل السابع.

ونرى ان العامل السيكولوجي له الدور الرئيس في حسم الموقف بين قوتين:احزاب الاسلام السياسي الشيعي والمتظاهرين..الأولى تمتلك السلاح والقوى الأمنية وفصائل مسلحة يدفعها انكسارها النفسي وسقوط اعتبارها الأخلاقي الى التمسك بالسلطة وممارسة اساليب التودد الظاهري والوعود بتحقيق اصلاحات وبث مندسين بين المتظاهرين للقيام باعمال تخريب واختطاف نشطاء،وقتل متعمد في مجازر آخرها،بعد الناصرية والنجف،قيام ملثمين مساء الخميس (2019/12/6) يستقلون سيارات دفع رباعي بقتل 13 عشر متظاهرا في محلة السنك والخلاني..ما يعني ان هذه الأحزاب ستستميت من اجل البقاء في السلطة.

اما المتظاهرون فانهم يمتازون بالأصرار على مواصلة المشوار في تصعيد سيكولوجي بمشاركة العشائر في تظاهراتهم،وتأييد المرجعية والأمم المتحدة ومواطني المحافظات الغربية.. ما يعني ان فرصة الوساطة التي كنا اقترحناها لحقن دماء العراقيين قد فاتت،وأنالمستقبل،اذا استثنينا التدخل الدولي وأيران،سيشهد موقفا حاسما اما مجزرة رهيبة ترتكبها من بيدها السلاح،او اضطرار البرلمان الى حلّ نفسه ودعوته لاجراء انتخابات جديد باشرافدولي، او اعلان المتظاهرين تشكيل حكومة جديدة والتوجه بتخطيط مدروس جماهيريا ومحليا ودوليا..نحو الخضراء.!

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/DocQassimTheOctoberEvents.pdf

*** *** ***

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2019 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار السادس)

الشبكة تطفئ شمعتها الثامنة عشر وتدخل عامها التاسع عشر من التأسيس

18 عاما من الكدح... 16 عاما من التواصل "

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf